تاريخ الجزائر الثقافي – السنة الأولى جذع مشترك

الأوضاع الثقافية للمغرب الأوسط في أواخر العهد الزياني:

أعقب سقوط الدولة الموحدية صراعات حادة بين دول المغرب كانت الجزائر (المغرب الأوسط) مسرحا لها أكثر من تونس والمغرب الأقصى بحكم موقعها الجغرافي، الشيء الذي أضعف السلطة المركزية لبني زيان.

كانت دولة بني زيان تسيطر نظريا على القسم الغربي من الجزائر الحالية (مركزها تلمسان) التي أنشأها "أبو يحي يغمراس بن زيان" سنة 1236 م ، لكن هذه المملكة ظلت عرضة لغزوات بني مرين في المغرب الأقصى وبني حفص في تونس، و هذا ما أدى إلى انتشار الضعف في دولة بني زيان وبني حفص في تونس.

فمنذ منتصف القرن الرابع عشر عانت الدولة الزيانية من هجمات الأيبيريين الإسبان وذلك بسبب تجزء وضعف مملكة الزيانيين في المغرب الأوسط نتيجة الخلافات العائلية. فالأمراء المستقرون في وهران وتنس ثاروا ضد حكام تلمسان وفي الشرق استقلت بجاية وقسنطينة عن الحكومة المركزية أما الموانئ فقد شكلت "جمهوريات صغيرة" كالجزائر وبونة وجيجل ودلس...إلخ.

في الهضاب العليا والجنوب كانت الاتحادات القبلية مستقلة عن أي سلطة مركزية أما في ما يعرف حاليا "منطقة القبائل"، فقد بدأت إمارات مستقلة بالنشوء، وعلى المستوى الاجتماعي والاقتصادي توقفت التجارة وتراجع التحضر والزراعة.

بالمقابل، وفي الجهة الشمالية بعد سقوط الأندلس عام 1492 ومع سقوط إمارة غرناطة آخر معقل كان بحوزة المسلمين، نقل الإسبان الحملات الصليبية إلى قلب الدول الامازيغية الصغيرة، فاحتلوا العديد من المدن الساحلية: المرسى الكبير 1505 ووهران 1509 وبجاية 1510.

مدينة الجزائر التي لم يكن لديها جيش قوي ولا مدفعية كافية لمواجهة الجيش الإسباني بدأت تشعر بالتهديد، خصوصا بعد أن بنى الإسبان عام 1510 قلعة على واحدة من الجزر التي تواجه المدينة، لذلك قام ملوك الجزائر سليم التومي وسيدي أحمد أولقاضي بالاستنجاد بالإخوة "بربروس" وكان ذلك بداية الحكم العثماني في الجزائر بداية من سنة 1516.

على الرغم من أن القرن الخامس عشر (15) كان فترة اضطرابات سياسية وعدم استقرار، إلا أنه ، كما يؤكد شيخ المؤرخين المرحوم أبو القاسم سعد الله في كتابه (تاريخ الجزائر الثقافي) فترة من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي ومن أخصب عهودها بأسماء المثقفين (أو العلماء) والمؤلفات .

وكثير من إنتاج القرن 15 ظل، موضع عناية علماء القرون اللاحقة والتعليق عليه وتقليده ونحو ذلك. وكثير من علماء القرن السادس عشر، كانوا تلاميذ أوفياء لعلماء القرن الخامس عشر (التاسع الهجري).

ومما نلاحظ أن بعض هذه الأعمال قد كتبه علماء تغلب عليهم تخصص آخر غير التاريخ، مثل التنسي الذي اشتهر بدراسته الحديث والفقه والأدب، ومثل ابن القنفذ الذي تغلبت عليه العلوم كالحساب والأسطرلاب والفلك، ومثل الثعالبي الذي عرف بالزهد وعلوم الدين، ومع ذلك فإن آثار هؤلاء التاريخية ما تزال تحتفظ بقيمتها.

ورغم قرب العهد بابن خلدون وملاحظاته النافذة على المجتمع السياسي والاقتصادي لعصره فإن مدرسته لم تجد صدى بين كتاب التاريخ في جيل هذه المرحلة. رغم أن محمد بن الأزرق قد تأثر به كثيرا في كتابه (بدائع السلك) ونقل عنه الفقرات الطويلة، لكن لا نجد آراءه ولا آراء أستاذه ابن خلدون قد تسربت إلى كتاب التنسي وأمثاله من مؤرخي القرن التاسع الهجري (15 ميلادي).

قد يكون ساهم بدايات انهيار دولة الأندلس والتدفق كبير للمهاجرين الأندلسيين إلى شمال إفريقيا في هذه الحركة الفكرية الثقافية. ففي مملكة الزيانيين، رحبت تلمسان ب 50 ألف هارب من الأندلس من قرطبة، نقلوا معهم رصيدهم الأندلسي من معرفة وفن حضارة وهو ما ساهم في ازدهار المملكة.

ويعتبر العصر الزياني عموما، في المغرب الأوسط ، من أزهى العصور حيث ازدهرت فيه الثقافة والتعليم وعرفت البلاد أوج مجدها الحضاري والفكري والعلمي ،ويعود ذلك إلى نمو الحركة التعليمية التي ساهمت في ظهور جيل من العلماء الذين قادوا المسيرة العلمية إلى الإمام .

ومن مظاهر هذا الاهتمام ، إنشاؤهم ورعايتهم للمؤسسات التعليمية التي كان لها فضل كبير في تفعيل النشاط الفكري ، فانتشرت الكتاتيب والمساجد والمدارس والزوايا، وظهر عدد هائل من العلماء ، فخلفوا تراثا علميا هاما ما يزال متوارثا بين الأجيال.

وعلى الرغم من اضطلاع المساجد والكتاتيب بمهمة التربية والتعليم، تعتبر الزوايا أهم المؤسسات العلمية الهامة في بلاد المغرب. حيث تطلق الزاوية على البناية ذات الطابع الديني الثقافي، تقام فيها الصلوات الخمس ، فضلا عن الدروس التي كانت تلقى على الطلبة ، كما يسمح لهم أحيانا بالسكن فيها.

وكانت تمول بأموال الحبوس لتقوم بوظيفتها على أحسن وجه، حيث أوكلت لها مهمة تحفيظ القران الكريم و تدريس مختلف العلوم سواء النقلية أو العقلية .

وازداد انتشارها في البوادي ، فكان لذلك تأثير في تقليص الفوارق التعليمية بين الأرياف والمدن.

والحقيقة أن التراث الثقافي خلال القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) يعتبر التركة التي ورثها العهد العثماني الذي بدأ مع وصول الإخوة بربروس إلى الجزائر.

بعض مظاهر الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني :

عاش المجتمع الجزائري على ما ورثه من الثقافة الإسلامية التي ازدهرت في العصر الوسيط (تيهرت - بجاية –تلمسان)، ولم يساير ثقافة العصر الحديث، كما لعبت الزوايا والطرق الصوفية دورا بارزا في نشر العلم والمعرفة، وارتكز التعليم على الجانب الديني أساسا، إلى جانب تعليم مبادئ القراءة والكتابة وبعض العلوم الأخرى كالحديث والنحو واللغة والفقه والتوحيد واستكمال هذه الدراسات بعلم الحساب وقراءة المؤلفات الطبية والفلك.

ينبغي الإشارة مع ذلك، إلى أن هذه المنظومة التعليمية المتكاملة لم تكن تموّل من طرف الإدارة العثمانية، بل كانت تقوم على نظام الوقف الذي تطور بشكل لافت في الجزائر، لتمويل التعليم والزوايا على الخصوص، إلى جانب مساهمة العائلات في تعليم أبنائهم.

شكل اختلاط العناصر الاجتماعية في المجتمع الجزائري بداية تمازج بين الموروث الثقافي مع الثقافات الوافدة من خارج البلاد نتج عنه طهور عدد من المدارس الدينية والفقهية ، اذ عمل فيها عدد من علماء الفكر من المسلمين المشتغلين بعلوم الفلسفة والفقه والادب وباقي العلوم الأخرى.

وكان لبناء **الزوايا** دورا ثقافيا واضحا في النشاط الديني والعلمي و**المسجد** مكانا للعبادة والتعليم ودار القضاء ومأوى للطلبة وعابري السبيل، أما **الكُتّاب** فهو عبارة عن حجرة مجاورة للمسجد وخصصت لتعليم القرءان والقراءة والكتابة وهي منتشرة انتشارا واسعا في الجزائر.

ارتبط الوضع الثقافي عامة والحياة الفكرية خاصة في إيالة الجزائر العثمانية بالمؤسسات التعليمية والتنظيمات الحيوية، وتأثر الى حد كبير بدور الفقهاء في المدن وشيوخ الزوايا في الريف، بينما عكست المظاهر ولاسيما العمارة والموسيقى ميول وأذواق ونوعية حياة سكان المدن والريف.

ولا تكاد المؤسسات الثقافية في العهد العثماني تخرج عن **المسجد والمدرسة والزاوية والمكتبة.** ومعظم هذه المؤسسات كانت للتعليم أكثر مما كانت للثقافة بمفهومها اليوم. ولم يكن من بين هذه المؤسسات جامعة أو معهد عال رغم أن بعض **المساجد والمدارس والزوايا كانت تبث تعليما في المستوى العالي.** ولم تعرف الجزائر عندئذ **المسرح** ولكن وجد ما يشبهه **كخيام القراقوز وحلقات المداحين وحلبات المصارعة.** أما الصحافة فلم يكن لها وجود قبل العهد الفرنسي، وكذلك المطبعة.

وبالإضافة إلى ذلك **ترقت العمارة** في الجزائر وامتزج فيها الذوق المحلي بالذوق العثماني الشرقي أيضا فظهر هذا الذوق في المساجد والقباب والقلاع، كما ظهر الذوق المحلي في القصور والمنازل والمساجد أيضا.

أهم العلوم السائدة في الجزائر أثناء التواجد العثماني:

أ. العلوم العقلية:

لاحظ العلماء أنفسهم ضعاف بالحساب و الفلك أثناء التواجد العثماني ، حيث كانوا لا يعرفون إلا القليل عن العمليات الحسابية و الآلات الحسابية، حيث كان التجار يقومن بالعمليات الحسابية باستعمال أصابعهم.

حيث أن التحضر في هذا الميدان كان مقتصرا إلا على الفلك وتقويم الصلاة وحركة الليل والنهار.[1]

ب. العلوم النقلية:

ازدهرت العلوم الثقافية في العهد العثماني، حيث كانت دراسة التاريخ الثقافي بالجزائر تعتمد على المخطوطات والمصادر التاريخية بالدرجة الأولى.

أغلب المصنفين يعترفون بمكانة وعلو الثقافة الجزائرية والدور الكبير الذي لعبه علماء من أجل تقدم العلوم ورقيها بالمغرب الإسلامي، فأوضحوا كثيرا من الغموض كانت سائدة بالأذهان و بددوا العديد من الاتهامات الباطلة و فندوا الأكاذيب و الأحكام المسبقة.[2]

التصوف أثناء التواجد العثماني في الجزائر:

شهدت الجزائر سيطرة روح التصوف على الحياة العلمية والاجتماعية خلال العهد العثماني، ونتيجة لذلك كثر الإنتاج في هذا المجال، فنجد كتب في التصوف تناولت الأذكار والأوراد والمناقب والشروح تخص القصائد الصوفية، حيث كان التأليف في علم التصوف أكبر عكس بقية العلوم الأخرى في الفترة العثمانية، وذلك بسبب انتشار التصوف على مدى واسع في المغرب الأوسط، ففي كل جهة توجد زاوية أو مقام ولي صالح، وتوجد حلقة الذكر أو شيخ الطريقة يدعو إلى التمسك بالشريعة والاقتداء بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبهذا كان المجتمع الجزائري يراهم نموذج في الصالح والتقوى بعلمهم .

وحسب ابن خلدون: هو علم من علوم الشريعة الحادثة في الملة، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة [3].

---

[1] مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس، العلوم العقلية في الجزائر خلال العهد العثماني، إعداد الطالب بالماضي ابراهيم، 2016 – 2017.

[2] أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم التاريخ الحديث المعاصر، العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني، 2017 – 2018.

[3] عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني، دار هومة، الجزائر، 2016، ص 250.

- **أهم الطرق الصوفية:**

أشهر طريقة من حيث الذيوع والانتشار، كانت الطريقة القادرية – الشاذلية التي تنتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة 561هـ و قد انتقلت إلى الجزائر بخاصة والمغرب بعامة عن طريق الشيخ أبي مدين التلمساني سنة 594 هجرية بتلمسان.

أما في الشرق الجزائري فقد اشتهرت في كل من الجزائر، وقسنطينة –الطريقة الرحمانية، التي أسسها عبد الرحمن الأزهري) (مجاورة) وتأسست بها عدة زوايا من أهمها زاوية باش تارزي بقسنطينة.

وكانت الطريقة التجانية التي أسسها أحمد التجاني المتوفى سنة 1230 هجرية من أهم الطرق التي شدّت انتباه الناس إليها، لأنها كانت من بين الزوايا أو الطرق التي ثارت في وجه الوجود العثماني.

التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني:

– رجال التعليم:

*** سعيد قدورة:** هو أبو عثمان سعيد بن إبراهيم قدورة، مفتي وفقيه وعامل مدينة الجزائر تونسي الأصل، جزائري المولد ولا ندري بالضبط متى ولا أين ولد تتلمذ بالجامع الكبير على يد نخبة من علماء الجزائر خلال القرن 88هـ/87م، من أمثال الشيخ محمد بن القاسم المطاطي، وانتقل إلى زاوية الشيخ أبهلول بتنس حيث درس علوم كثيرة، بعد مقتل الشيخ أبهلول قصد تلمسان وهناك درس على يد الشيخ سعيد المقري التلمساني.

عاد إلى الجزائر سنة 1620م وهناك تولى التدريس بجامع البلاط والخطابة بجامع سيدي رمضان، وفي سنة 1619م اعتلى منصب الإفتاء بالجامع الأعظم، وصار مفتيا للمذهب المالكي في مدينة الجزائر، درس الحديث والفقه والنحو، وتتلمذ على يده نخبة من علماء القرن 11هـ منهم الشيخ الثعالبي ، كانت وفاته سنة 1166هـ.

*** علي بن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري:** هو أبو الحسن سيدي علي بن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري ، ولد بتافلالت ونشأ بسجلماسة، ثم رحل إلى فاس وأخذ عن علمائها حيث قرأ البخاري على يد الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي ، شارك في الحياة العلمية ولا سيما التدريس، كان من علماء المغرب، استوطن بالجزائر خلال القرن 17م، انطلقت دروس الأنصاري في الجزائر العاصمة، يذكر أبو القاسم سعد الله لسان المحبي: "أنه آية باهرة في جميع العلوم"، ومن العلوم التي كان يدرسها أصول الدين،

البيان، المنطق، النحو، ومصطلح الحديث والفقه والتصوف ، تخرج على يده الكثير من العلماء، توفي سنة 1057هـ.

- طرق التعليم:

* **التعليم الابتدائي:** كانت مدة التعليم 4 سنوات، يتعلم الطفل خلالها مبادئ القراءة و الكتابة وحفظ القرآن وأركان الإسلام.، وكانوا يدرسون في الكتاتيب والجوامع.

* **التعليم الثانوي:** يتم في المساجد حيث يتلقى الطالب مبادئ الفقه واللغة والنحو والصرف والحساب، كان من اختصاص الزوايا وبعض المدارس، وكانت المواد المدرسة ذات أهمية كبيرة حيث تضمنت تلقين أحكام القرآن، المنطق، التاريخ والفلك.

* **التعليم العالي:** تشبه في وقتنا الحالي الجامعة يدرسون باللغة العربية العلوم الفقهية، العقائد، الأدب، قواعد النحو، الصرف، وفنون البلاغة والمنطق وعلم الجداول لتحديد مواقيت الصلاة، قواعد النحو، الصرف، وفنون البلاغة والمنطق وعلم الجداول لتحديد مواقيت الصلاة، أما أماكن التعليم العالي فتوجد بالجوامع الكبيرة مثل مدرسة الجامع الكبير، ولم تكن المدارس العليا على مستوى جامعات الأزهر بمصر والقرويين بالمغرب.

- البرامج التعليمية:

من أهم البرامج التعليمية التي كانت تدرس في العهد العثماني بالجزائر من قبل المدرسين والشيوخ وفي معظم المؤسسات التعليمية هي عبارة عن دروس تخص قواعد المنطق، الميتافيزيقا، الهندسة، علم الفلك والجداول وكان لهذا الأخير أهمية في تحديد مواقيت الصلاة الشرعية الخمس بكيفية دقيقة.

كما انتشرت دراسة علوم الدين والتصوف أما العلوم العقلية فهي ثانوية، وقد كان العلماء الجزائريين اثناء العهد العثماني يقلدون علماء العهد الزياني والحفصي باستثناء القليل منهم.

كانت برامج التعليم الابتدائي والثانوي تخضع لإدارة المدرس إذ أن المدير هو الذي كان يضع برامج الدراسة ويحدد أوقات التدريس وفقا لأوقاته الفارغة، وكانت دروس المرحلة الثانوية تتميز بالشرح والتفصيل والإملاء أكثر منها في المرحلة الابتدائية.

المراكز التعليمية:

- المساجد و الكتاتيب: كانت بمثابة مراكز للتعليم التحضيري أو الابتدائي وكان يطلق عليها في الأرياف اسم الشريعة، وذلك لتدريسها الشريعة، أما في المدن فيطلق عليها اسم "المسيد"، أما عن الغرض من وجودها فيرى يحي بوعزيز أنها أسست لتجنيب المساجد ضوضاء الأطفال والحفاظ على نقاوتها

وعادة ما يتراوح عدد مريديها ما بين 15 و 20 طفلا يواصلون الدراسة بها من 3 إلى 4 سنوات، أما من يرغب في مواصلة الدراسة فيبقى سنوات أخرى من أجل التعلم وحفظ القرآن كله، وهي أول محل يتلقى فيه الطفل الحروف الهجائية، بواسطة اللوح المصلصل واللوح القصيب.

– **الزوايا:** من أبرز مميزات العهد العثماني في الجزائر كثرة الزوايا ، حيث مثلت مقرا للعبادة والدراسة، كتدريس علوم الدين والفقه ومبادئ القراءة والكتابة ، وهي ذات طابع ديني وثقافي يقيم فيها الشيخ الصوفي يؤدي فيها صلواته الخمس ويعتكف للعبادة والأوراد ويلتف حول الشيخ طلبة ومريدون ، وقد كانت عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل المختلفة.

– **المدارس:** عرف أبو راس الناصري المدرسة بقوله: "المدرسة المتعارف عليها عندنا هي التي تبنى لدراسة العلم أي لتعليمه وتعلمه.»

وهي أمكنة خصصت لإلقاء الدروس، بحيث يذكر "لاموريسيير" عن مقاطعة تلمسان في تقريره "في الفرع الإداري بتلمسان وحدها كان في المدينة التي تحتوي على 12 إلى 14 ألف نسمة 3 ثانويات و50 مدرسة، وكان التعليم للجميع وكان 2000 تلميذ يتلقون تعليما ثانويا فيما كان 600 آخرون يزاولون دراسات عليا، وكان لكل مدرسة مكتبة خاصة كما كانت تكاليف المدرسة على عاتق العائلات، أما الباقي فتدفعه المؤسسات ومل يكن هناك من أثر للدولة المسلمة".

الثنائية المذهبية في الجزائر إبان العهد العثماني

أ. المذهب المالكي:

معلوم أن المذهب المالكي هو المذهب الفقهي الذي ظل سائدا في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) لفترة طويلة من الزمن؛ حتى أصبح معظم سكان الجزائر من أتباع المالكية، وعند قدوم العثمانيين إلى الجزائر في مطلع القرن السادس عشر، تراجع المذهب المالكي، واستبدل بالمذهب الحنفي، ولكن لم يهمش من طرف العثمانيين، ولم يتم مضايقة أتباعه، فقد بقي سكان الجزائر الأصليين على مذهبهم المالكي في معاملاتهم اليومية والفقهية و الاجتماعية.

ب. المذهب الحنفي:

عند مجيء العثمانيين إلى الجزائر في مطلع القرن السادس عشر ميلادي، استقدموا معهم المذهب الحنفي الذي كانوا قد اتخذوه سابقا مذهبا رسميا للدولة العثمانية، فأصبح بذلك المذهب الحنفي، يحمل صفة

مذهب السلطة الرسمية في إيالة الجزائر العثمانية؛ الذي تعمل به الطبقة السياسية والعسكرية الحاكمة، وفئة الكراغلة وأفراد الانكشارية.

حيث برز التعايش المذهبي على أكثر من صعيد، لاسيما في مجال القضاء والإفتاء الذي تميز بالازدواجية في هيئته ما بين الحنفية والمالكية، وكذلك في مجال التعليم، الذي جمع بين مدرسين وفقهاء عن المذهبين الحنفي والمالكي في مختلف المؤسسات التعليمية، وبمنهج تدريس يشتمل على الفقه الحنفي والمالكي. هذا فضلا على علاقة التعاون والتنسيق التي كانت تتم بين المذهبين؛ في كثير من القضايا العامة التي تتعلق بالمجتمع الجزائري.

الخاتمة

وفي الأخير يمكننا أن نستنتج ما يلي :

- إن العهد العثماني بالجزائر خلّف إرثا حضاريا وتاريخيا وثقافيا، وهذا الإرث هو بمثابة الذاكرة الجماعية للأمة الجزائرية، وجب على الجميع، استثماره والمحافظة عليه ومحاولة تعزيزه من أجل وحدة الأمة وثباتها .
- إدراك حجم هذا التراث وقيمته العلمية والثقافية ومحاولة إدراجه ضمن محاور الهوية الوطنية التي تعبر بوضوح عن أصالة الشعب الجزائري.
- ضرورة الاهتمام بمعالم التراث التاريخي في الجزائر وتكييفه بما يخدم مصلحة الأمة ويعزز وحدتها الوطنية ومكانتها الدولية.
- استغلال التراث التاريخي كمادة لغرس روح الوطنية في ذهنية وفكر الأجيال وأبناء الشعب الجزائري من خلال تعريفه بالمنجزات الحضارية والتاريخية التي أنجزت عبر تاريخ الدولة الجزائري.

تاريخ الجزائر الثقافي أثناء العهد الاستعماري الفرنسي:

على الرغم من شراسة الاستعمار الفرنسي للجزائر وبشاعة الجرائم والمجازر التي ارتكبها في حق الجزائريين، إلا أن الوجه الأبشع للاستعمار الفرنسي تمثل في حرب الإبادة الثقافية التي انتهجها ضد الثقافة والهوية الجزائرية محاولا اجتثاثها من جذورها بكل الطرق.

يمكن الاطلاع على تفاصيل هذه الحرب الثقافية الاستدمارية (كما كان يسميها المفكر المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم) من خلال ثلاثة مراجع نقترحها للطلبة في بداية مسارهم الجامعي، هي :

1. الجزائر ، الأمة والمجتمع ، للمرحوم مصطفى الأشرف.
2. المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة : المدارس و الممارسات الطبية و الدين 1830 - 1880 ، تأليف إيفون تيران.

Yvonne Turin. Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale: Écoles, médecines, religion, 1830–1880.

3. تاريخ الجزائر الثقافي، للمرحوم أبو القاسم سعد الله.

تؤكد هذه الدراسات وغيرها كثير من الشواهد والبحوث والدراسات، أن الاستعمار الفرنسي قد مارس واحدا من أبشع أنواع الاضطهاد والاحتلال في العصر الحديث، لبلد لا يمت إلى فرنسا بأية صلة فكرية وثقافية وعرقية.

وكان طبيعيا أن ينجر عن ذلك جرائم مختلفة، أخطرها في المنظور البعيد هو الجرائم الثقافية والفكرية بوصفها المعبر عن هوية المجتمع وقيمه وتراثه وكل مخزونه المعنوي.

والاضطهاد في منظور القانون الدولي هو" حرمان مجموعة محددة من السكان أو مجموع السكان حرمانا متعمدا وشديدا من الحقوق الأساسية بما يخالف القانون الدولي وذلك بسبب هوية الجماعة أو المجموع. ومن شروط الاضطهاد: حرمان الجماعة من الحقوق الأساسية والانتماء العرقي أو الديني".

موقف الإدارة الفرنسية من المخلفات الثقافية للعهد العثماني

سارعت سلطات الاحتلال مباشرة بعد دخولها إلى العاصمة الجزائر، إلى تنفيذ حملة واسعة وممنهجة لتدمير الكتاتيب والمدارس والمساجد وتحويل الكثير منها إلى معسكرات وكنائس وحتى إصطبلات، وكذا الاستيلاء على أملاك الوقف من أراضي وبنايات وأموال.

كما عمدت إلى الإستيلاء على أرشيف الإدارة العثمانية، وعمدت من خلال حركة الاستشراق التي نتعرض لها لاحقا إلى محاولة قطع أي علاقة ثقافية مع الوجود العثماني، وذلك من خلال تصوير العثمانيين على أنهم سلطة احتلال وقراصنة استولوا على الحكم في الجزائر بالقوة.

الحرب على الهوية :

أصدرت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في 23 مارس 1882 قانون الحالة المدنية أو قانون الألقاب الذي ينص على استبدال ألقاب الجزائريين الثلاثية وتعويضها بألقاب لا ترتبط بالنسب. وسبق صدور هذا القانون محاولات متواصلة لطمس الهوية الجزائرية، أهم ملامحها إجبار الأهالي -وهو التعبير الشائع لتوصيف الجزائريين-على تسجيل المواليد الجدد وعقود الزواج لدى مصلحة الحالة المدنية الفرنسية، بعدما كانوا يقصدون القاضي الشرعي أو شيخ الجماعة.

و الغاية من استبدال ألقاب الجزائريين الثلاثية وتعويضها بألقاب لا ترتبط بالنسب هو تفكيك نظام القبيلة لتسهيل الاستيلاء على الأراضي، وإبراز الفرد كعنصر معزول، وتغيير أساس الملكية إلى الأساس الفردي بدلا من أساس القبيلة، وطمس الهوية العربية والإسلامية من خلال تغيير الأسماء ذات الدلالة الدينية وتعويضها بهوية هجينة، وإحلال الفرد في المعاملات الإدارية والوثائق مكان الجماعة، وأخيرا تطبيق النمط الفرنسي الذي يخاطب الشخص بلقبه وليس باسمه.

و بموجب هذا القانون لم تكتف السلطات الاستعمارية بتغيير أسماء وألقاب الجزائريين بصفة عشوائية بل عوضت العديد منها بأسماء مشينة ونابية وبعضها نسبة لأعضاء الجسم والعاهات الجسدية، وألقابا أخرى نسبة للألوان وللفصول ولأدوات الفلاحة وللحشرات وللملابس وللحيوانات ولأدوات الطهي.

الاستشراق في خدمة الإدارة الفرنسية

وبما أن الشأن الثقافي من اختصاص الأكاديميين غالبا، فإن الاستعمار الفرنسي لم يدخر جهدا في الاستعانة بالمستشرقين الفرنسيين لتحقيق غاياته في البلدان التي يحتلها، خاصة في الجزائر التي عدت على الدوام بقعة جغرافية إستراتيجية بالنسبة لفرنسا.

ولقد كان لهذه الفئة من العلماء والدارسين الدور الأكبر في نجاح أغلب الحملات الغربية على العالم العربي والإسلامي منذ الحروب الصليبية على الشرق، وربما قبل ذلك أيضا في الأندلس.

كانوا أغلب المستشرقين الفرنسيين الأوائل ضباط في الجيش الفرنسي، وكانوا في طليعة الجيش، يسبقون البنادق والمدافع، للتعرف على السكان الأصليين وعاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم وأشكال تنظيمهم من الناحية الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية.

سهلت تلك الدراسات "الإثنوغرافية" عمل الجيش الفرنسي من خلال سياسة فرق تسد تارة وبالترهيب والتقتيل تارة أخرى ومن خلال نشر الخرافات والأساطير التي تعمق الجهل والتخلف لدى السكان.

حيث عمدت الإدارة الفرنسية مثلا إلى محاربة الزوايا التي كان لها دور ثقافي ديني وتعليمي تنويري، ومحاولة استبدالها بتشجيع الطرق الصوفية القائمة على الخرافات والجهل والشركيات.

من أسوأ الأساطير التي حاولت مدرسة الاستشراق الفرنسية خلقها ونشرها ، فكرة " إفريقيا اللاتينية " لتبرير الاحتلال الفرنسي للجزائر، ومنه إلى طمس الهوية القومية لهذا الشعب العربي الأمازيغي. وقد حركت فرنسا هذا الوتر ظنا منها أنها ستخدع الجزائريين، وتوهمهم أن أصولهم رومانية لاتينية ، وعليه فإن فرنسا وريثة الإمبراطورية القديمة هي حاضنتهم الطبيعية.

هذا التسلل عبر مسألة الهوية والانتماء كان واضحا أن الهدف منه هو استمالة الجزائريين لاستبدال الحماية العثمانية بالاحتلال الفرنسي، خاصة بعد أن أصبحت الخلافة العثمانية ضعيفة وغير قادرة على الدفاع عن مناطق نفوذها الشاسعة.

سياسة التنصير

وفي تزامن مع هذا الخراب الثقافي، تواصلت موجات التبشير المسيحي، في محاولة لاستغلال الأوضاع المأساوية للشعب الفقير المقهور.

وفي هذا الصدد يذكر أبو القاسم سعد الله أنه " في عقد الستينيات وبخاصة بعد كارثة المجاعة التي أصابت الحرث والنسل، قام الكاردينال لافيجري بتأسيس جمعية (الآباء البيض) التي انتشرت في شمالي إفريقيا، تفتح المدارس والمصحات ومراكز التكوين المهني للتوغل بين السكان، في محاولة لتقريبهم من النصرانية إن لم تستطع تنصيرهم كليا.

وقد جذبت إليها أعداداً هامة من الأطفال في المدارس، واهتمت بالبنات في مراكز التكوين المهني، وقدمت الدواء للمرضى والمشردين والعجزة، تحت ستار المساعدة والأعمال الخيرية، بينما كان الهدف تنصير الجزائريين بالتعليم ذي البرنامج التمسيحي الصريح.

الحرب على اللغة العربية ونشر اللغة الفرنسية

فرضت سلطات الاحتلال حركة استيطانية واسعة، من خلال جلب آلاف الفرنسيين والأوروبيين إلى الجزائر، وبناء المدارس الفرنسية في أطوارها المختلفة لتكون الأداة الفعالة في تغيير الطابع الثقافي للشعب الجزائري.

وقد ترتب عن ذلك ازدواجية لغوية تجمع لغة فرنسية قوية وأخرى عربية ضعيفة بفعل التضييق على الناس في استعمالها، وتشجيع اللغة العامية كلغة منافسة وواسعة الانتشار، مما أدى في النهاية إلى "ازدواج شعبي"، وليس لغويا فقط، كان من آثاره أن "خلق في مجتمعنا تمزقا في الثقافة والتفكير والأخلاق وفي الحياة الاجتماعية نفسها" على حد تعبير المفكر المرحوم عبد الله شريط .

تلك الحالة التي أجبرت الجزائريين بعد الاستقلال إلى طرح مسألة الهوية كنتاج طبيعي لذلك التمزق الاجتماعي والثقافي الذي أحدثه الاحتلال.

ولا شك أن فرنسا كانت في بداية عهدها في الجزائر تسعى إلى نشر اللغة الفرنسية كبديل للغة العربية الواسعة الانتشار في البلاد. فبقاء اللغة العربية لا يمكنه إلا أن يثبت شرائح المجتمع المختلفة على المطالبة بجلاء المحتل، أو محاربته حتى يغادر، خاصة أنها لغة القرآن الذي يشكل الجهاد ضد الظالمين أساسا مهما في تعاليمه السمحة.

لكن فرنسة المجتمع الجزائري أيضا طرْحٌ فيه خطر على فرنسا؛ لأن خلق مجتمع متعلم أو مثقف في هذه البلاد لا يضمن أن يكون مواليا لفرنسا. لهذا تفطن بعض المفكرين الفرنسيين إلى ذلك، ومارسوا نوعا من التمييز حتى في تعليم الفرنسية لأبناء الشعب الجزائري، إن من منطلقات عنصرية ، أو من منطلق الخوف من المستقبل.

وفي مظهر آخر من مظاهر الظلم الذي تعرض إليه أبناء هذا الوطن ثقافيا، ذهب المستشرقون الفرنسيون في الاستهانة باللغة العربية إلى حد كتابتها للجزائريين بالحرف اللاتيني، بدعوى وصولها السريع إلى الأفهام، وإذا كتبوها بالحرف العربي فهي بعيدة عن العربية الأصيلة، إذ يبدو فيها الضعف وسوء التركيب واضحين، ناهيك عن الأخطاء التي تعمدوا إدراجها رغم معرفتهم الجيدة للغة العربية، وقسموا العربية بناء على ذلك إلى قسمين هما : اللغة الكلاسيكية، ويعنون بها الفصحى، واللغة الحديثة التي يعنون بها المستحدثة والمختلطة بالعامية.

من محاربة اللغة إلى محاربة التعليم وسياسة تجهيل الجزائريين

عمدت سلطات الاحتلال إلى تضييق مجال التعليم أمام الجزائريين، وإذا سمح لبعضهم به فإما لأنه مطلوب للخدمة في الإدارة الفرنسية، فيساعد بذلك في تعامل المحتل مع أبناء شعبه، وإما لأنه من أبناء الطبقة المتعاملة مع فرنسا على حساب شعبها.

أما الغالبية من الجزائريين فقد رأى المستعمر أن الجهل والتخلف أنسب لهم، فتموت فيهم جذوة النشاط والتفكير، ويركنون إلى التمسك بالخرافات والبدع التي هي أقرب إلى المخدر الذي يوهم صاحبة بأنه كائن اجتماعي بينما هو أبعد ما يكون عن ذلك.

هذا أسوأ حل لجأت إليه فرنسا الاستعمارية على مستوى التعليم، فلا هي علمت الجزائريين اللغة الفرنسية حتى يتمكنوا منها علميا وثقافيا، ولا هي تركتهم يتعلمون لغتهم العربية، ويتعاملون بها كما كان الحال قبل احتلالها لبلادهم.

ولم تكتف فرنسا بذلك بل لجأت إلى وسيلة غاية في الهمجية، من خلال هدم المؤسسات الدينية والثقافية، و حرمان الجزائري الذي كان يحظى بقدر وافر من التعليم قبل الاحتلال من مصادر الوعي والمعرفة .

وقد مس التدمير المدارس والمساجد والزوايا، وهي مؤسسات ثقافية مهمة بالنسبة للشعب الجزائري. فقد كانت الجزائر العاصمة وحدها تضم قرابة 176 مؤسسة دينية سنة 1830 بين مسجد جامع ومسجد صغير وزاوية، ولم يبق منها سنة 1862 إلا 67 مؤسسة ثلثاها معطل لا دور له. أما الأخرى فقد مسحت أو هدمت أو تم الاستيلاء عليها أو حولت وظيفتها لأغراض غير الأغراض التي بنيت من أجلها.

المقاومة الثقافية وظهور التعليم الحر

لم يستسلم الجزائريون رغم وحشية الاستعمار الفرنسي الذي فرض سياساته التعليمية واللغوية والثقافية بالحديد والنار.

يذكر المؤرخ أبو القاسم سعد الله في "تاريخ الجزائر الثقافي" ، أن وسيلة الدفاع الأولى التي استعملها الجزائريون للحفاظ على هويتهم في غياب المدارس والزوايا، هي "الثقافة الشفوية."

حيث مثل الشعر الشعبي والأمثال والأغاني والأهازيج والحكايات والأساطير الشعبية التي يتم تداولها شفويا ما بين الأجيال، إضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم، خط الدفاع الأخير الذي سمح بالحفاظ على الهوية الثقافية واللغوية والحضارية للجزائريين من الاندثار.

ورغم التضييق، واصل الجزائريون محاولات التعليم في المساجد والكتاتيب وبعض الزوايا المتبقية والتي كانت كلها تمول من طرف الأهالي وعن طريق الأوقاف أو بعض المسلمين الميسورين.

ظهرت الحركة الإصلاحية التي يتزعمها العلامة ابن باديس في وقت كانت فيه أوضاع الجزائر جد مزرية، من جراء السياسية الاستعمارية التي عملت طيلة فترة الاحتلال على طمس معالم الشخصية الجزائرية وشد الخناق على الدين الإسلامي واللغة العربية التي اعتبرتها لغة أجنبية وكذلك تهميش الثقافة المحلية وذلك بالقضاء على التعليم العربي التقليدي وغلق مؤسساته وتهجير معلميه والاستيلاء على الأوقاف التي كانت تموله.

تمثلت أعمال الحركة في تطهير الدين الإسلامي من الخرافات والبدع التي ألصقت به والممارسات السلبية التي لا تتفق مع تعاليمه، ونشر العلم والمعرفة وتوعية الناس.

كما اهتمت هذه الحركة بإرسال بعثات طلابية إلى البلاد المجاورة طالبين العلم وليصبحوا إطارات للتعليم الحر، حيث كان عددهم عام 1952 حسب إحصائيات شارل روبير أجرون (Charles robert Ageron) 1130 طالب جزائري بعثوا لثلاث جامعات إسلامية، 900 إلى الزيتونة ما بينهم 250 إلى المدرسة الباديسية بقسنطينة و200 طالب إلى القرويين بفاس و300 إلى الجامع الأزهر بالقاهرة والمجموع هو 1270 في عام 1954 .

كما كان لابن باديس وحركته الفضل في إنشاء المدارس والنوادي والمعاهد على اختلاف أشكالها ومراحلها لتعليم اللغة العربية وقواعدها وأصولها ومبادئ الدين الإسلامي، حيث جعل البرامج التربوية تتلاءم والبيئة التي يعيش فيها المتعلم وليس غريبة عنه كما هي في المدارس الفرنسية.

لقد نشرت جريدة الشهاب "عن إنشاء 70 مدرسة إلى غاية سنتي 1934 – 1935 مكونة من قسم أو قسمين وموزعة على مختلف جهات الوطن، يدرس فيها 3000 تلميذ.

أما جمعية العلماء المسلمين التي تم إنشاؤها سنة 1931، قد نشرت سنة 1950 قائمة من 124 مدرسة، بها سلك تربوي يضم 274 معلما وأعلنت الجمعية نفسها سنة 1954 عن عدد 40.000 تلميذ يرتادون مؤسساتها المدرسية.

جاء التعليم الحر ليحل محل التعليم الفرنسي آنذاك، ويمكن تلخيص أهدافه التربوية في النقاط التالية:

-إحداث التغيير الداخلي في الفرد الجزائري بإرجاعه إلى دينه وتعلمه من مصادره الأصلية كتب الله وسنة رسوله الكريم خاليا من البدع والشوائب ليحافظ على شخصيته العربية الإسلامية.

-تأهيله لتسلق درجات الرقي الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والوصول إلى مصاف الشعوب الراقية فيسعدون في الدنيا والآخرة .

وهكذا كان للسياسة التربوية التعليمية التي اتبعتها الحركة الإصلاحية بالجزائر من خلال برامجها وأهدافها ومدارسها دورا كبيرا في توعية الشعب وتحريره من قيود الاحتلال الفكري والاستيطاني ودفعته للمطالبة بحريته وجعلته يحافظ على دينه ولغته وثقافته العربية الإسلامية،

ولم تقف السلطات الفرنسية لهذه النتائج، حيث مارست الكثير من الضغوطات على المدارس الحرة وعملت على منع الجزائريين من ارتيادها وسجن معلميها، وبقيت هذه الحرب الثقافية قائمة إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية الكبرى سنة 1954.

مظاهر الحياة الثقافية والمقاومة بالثقافة

استعان كثير من المفكرين الجزائريين بالصحافة والنشر والتأليف والمسرح لنشر الوعي، رغم مسارعة السلطات الاستعمارية للتضييق عليها وحتى مصادرتها ومنعها من النشر.

المسرح:

حتى لو لم يتعرف الجزائريون على المسرح بالمفهوم الحديث إلا في مطلع القرن العشرين، فإن تراثهم لم يخل من الفنون القصصية و التمثيلية الشعبية التي أفرزتها ظروف تاريخية معينة كالـرواية الشعبية، والحلقة، و المداح، و الأراجوز.

و هذا الموروث الشعبي على بساطته كان يشكل جزءا هاما من مكونات الشعب الثقافية و الفكرية، وتجسد ذلك في الإنتاج المسرحي الشعبي الذي انطلق في سنة 1926 على يد كل من علالو و رشيد القسنطيني و باش طارزي.

فكان هؤلاء يستمدون موضوعاتهم من التراث الشعبي، كالسير الشعبية و حكايات ألف ليلة و ليلة... فضلا على أنهم كانوا يخاطبون الجمهور بلغته العامية لأنه لم يكن على مستوى عال من الثقافة المسرحية و على دراية بهذا الفن بحكم ظروف الاستعمار، و رغم ذلك كان يتفاعل مع العروض المسرحية و يتجاوب معها لأنها كانت تمثل الواقع الاجتماعي و تصور الحياة اليومية المضنية للفرد الكادح.

ذلك أن ما كانت تقدمه هذه الأشكال الشعبية، " كالمداح " و " الحلقة "، على بساطته، كان ينطوي على مضامين حية تصور الواقع الاجتماعي و الحضاري المتردي للمـرحلة التاريخية السائدة، و لذا فطن الاستعمار للدور الذي يمكن أن يلعبه الراوي في التأثير على جمهوره و بالتالي بعث الوعي الاجتماعي و السياسي لدى أوساط الشعب الفقير و المقهور. و على هذا الأساس لجأت السلطة الاستعمارية إلى محاربة المداحين و الرواة الشعبيين و فض مجالسهم.

الصحافة :

شهدت الجزائر في مطلع القرن العشرين بداية نهضة ثقافية كانت تعبر عن رفض الجزائريين المطلق للاستعمار وتعلقهم بالهوية العربية الإسلامية، ومن مظاهر تلك النهضة الجديدة ظهور الصحافة الوطنية الجزائرية.

فبعد احتكار الإدارة الاستعمارية والمستوطنين للصحافة حتى حدود عام 1900 م، بدأ الجزائريون بإصدار صحافة وطنية كان لها دور هام في ترقية المجتمع وبعث الوعي السياسي، وكانت بذلك المنبر الرئيسي لنشر الأفكار والمبادئ وحتى مطالب الجزائريين، وسلاحا فعالا يستخدم ضد الإدارة الاستعمارية.

وقد ظهرت الجرائد الوطنية ابتداء من عام 1908 ، و ذلك عندما أصدر عمر راسم صحيفة "الجزائر"، لكنها لم تعمر طويلا إذ صدر منها عددان فقط، ومنعت من النشر .

كما ظهرت كذلك صحيفة "الإسلام" في أكتوبر 1912 بعنابة لمؤسسها الصادق دندان ، و جريدة "الفاروق" لعمر بن قدور، سنة 1913.

في فترة ما بين الحربية العالميتين (1919 – 1939) عرفت الصحافة الجزائرية بعض التحسن، وتميزت صحافة جمعية العلماء بمستوى أكثر دقة وعناية من ناحية الأسلوب واللغة، كما تميزت الصحف الوطنية في تلك الفترة أيضا بعدم الانتظام في الصدور بسبب تعسف السلطات الفرنسية والصعوبات المادية.

وعرفت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تطورا كبيرا في شكلها و مضمونها بفضل الكتاب الذين تخرجوا من المعاهد المشرقية أمثال عبد الحميد ابن باديس و محمد الأمين لعمودي، وظهرت العديد من الجرائد مثل "الإقدام" التي أسسها الأمير خالد، ومجلة "الشهاب" وجريدة "البصائر" وجريدة حزب الشعب، "الإقدام الباريسي" وجريدة "الأمة."

وقد انعكست هذه الأحداث على الرأي العام الجزائري الذي أصبح أكثر وعيا وإدراكا للظروف السياسية التي مرت بها البلاد، كما ازداد عدد الكتاب والمثقفين الجزائريين وخاصة من يتقنون اللغة العربية بفضل نشاط مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

و تأثرت الصحافة الوطنية بكل هذه التطورات التي تمخضت عن أحداث الحرب العالمية الثانية وتركت أثار ا واضحة عليها و أهمها:

- أصبحت الصحافة الجزائرية تعبر عن اتجاهات سياسية واضحة ومحددة على عكس ما كانت عليه سابقا.
- مثلت مستوى متطور من الناحية الصحفية (الطباعة، الإخراج، أسلوب التحرير) مستفيدة بذلك من التطورات العالمية التي حدثت في مجال الفن الصحفي.
- قل عددها لكن كان تأثيرها أعمق و أبعد أثرا من الصحف التي كانت تصدر بكثرة في فترة ما بين الحربين وسرعان ما كانت تختفي لظروف أو لأخرى.
- تميزت أيضا بانتظام صدروها ويرجع ذلك إلى أنها لم تكن مشروعات فردية مثلما كانت عليه في الفترات السابقة، ولكنها أسندت إلى تنظيمات سياسية وجمعوية لها إمكانياتها مما ساعدها على تطوير فنونها الصحفية.

الجمعيات والنوادي الثقافية:

ظهرت أولى التنظيمات في العاصمة، أبرزها الجمعية الرشيدية والجمعية التوفيقية. وقد ترأسها في الظاهر بعض الجزائريين المتجنسين بالجنسية الفرنسية والمتخرجين من المدارس الفرنسية، أمثال د. بلقاسم بن التهامي، ومحمد صوالح، ود. الطيب مرسلي، ومختار الحاج سعيد، والشريف بن حبيلس. فظهور الجمعيات إذن كان في أوساط المثقفين بالفرنسية المعروفين بالاندماجيين.

وقد اندفع معهم عدد آخر من المثقفين بالعربية ومن رجال الدين فساندوهم بإلقاء محاضرات في موضوعات محددة، ومنهم: المفتي ابن الموهوب في قسنطينة والمجاوي في العاصمة والقاضي شعيب في تلمسان.

ودخلت هذه الموضوعات ميدان التعليم والتوعية وتنشيط الشباب وحمايته من الانحراف وحثه على العمل، حيث نظمت المحاضرات باللغتين، وعالجت قضايا الفكر المعاصر من تراث وطب واختراعات وأدب وتاريخ. وشارك رواد الاتجاه الاندماجي (النخبة) بقسط وافر في هذا النشاط.

وظهرت جمعية في شكل (جوقة) أو فرقة كان يقودها الفنان محمد بن علي سفنجة قبل الحرب العالمية الأولى.

وتوسع نشاط الجمعيات والنوادي مع بروز الحركة الإصلاحية وظهور الأحزاب السياسية وجمعية النواب. وقد رافق ذلك نوع من التسامح من الإدارة الفرنسية لإنشاء مثل هذه الخلايا الاجتماعية، ما دامت تحت رقابتها الشديدة.

ومن أبرز الجمعيات غير الفنية والنوادي بالعاصمة، جمعية الشبيبة الإسلامية ونادي الترقي. وجمعية التربية والتعليم في قسنطينة ونادي السعادة في تلمسان وفي قسنطينة أيضا (تأسس سنة 1926)، ونادي الاتحاد الأدبي الإسلامي في مستغانم. وقد شهدت مدينة قسنطينة وحدها ميلاد حوالي 26 جمعية مدنية قبل الحرب العالمية الثانية.

وكان نادي الترقي قد نظم بين 1927 - 1929 حوالي ثلاثين محاضرة بالعربية وعشرة بالفرنسية. وبلغ أعضاؤه 270 عضوا. وما يلفت النظر هو أن نادي الترقي كان يشجع الحياة الفنية الموجهة لأداء رسالة اجتماعية وذلك عند احتفالاته السنوية. فقد مثل وغنى الممثل الفكاهي رشيد قسنطيني في حفلة أقامها النادي سنة 1929، كما أن جمعية الشبيبة الإسلامية كانت تحيي احتفالا سنويا يقوم به التلاميذ وغيرهم بتمثيل بعض الروايات وإنشاد الشعر والاستماع إلى القطع الموسيقية.

وكذلك كانت تفعل مدرسة التربية والتعليم في قسنطينة ومدارس جمعية العلماء فيما بعد، إذ أصبح التمثيل والإنشاد والموسيقى الشعبية جزءا من وسائل جلب الجمهور وتوجيهه نحو الإصلاح والنهضة.

ونلاحظ أن بعض الجمعيات والنوادي كانت تحمل أسماء اجتماعية وأخرى أسماء فنية. ولكنها جميعا تقريبا، أسماء مستمدة من التراث العربي الإسلامي. ومن هذه الأسماء نجد كلمات: الإسلامي، والديني، والفلاح (بفتح اللام)، والسعادة، والرجاء، والاتحاد، والإرشاد والإصلاح والحياة والشباب والأخوة والاستقامة والنهضة والفتح ... أما الجمعيات والنوادي الفنية فتحمل أسماء مثل المزهر، والعندليب، والأوتار، والفن والأدب، والمطربية، الخ.

وعرفت فترة انتهاء الحرب العالمية الثانية انطلاقة كبيرة في عدة ميادين ثقافية مثل الصحافة والمسرح والمطبعة والموسيقى ونحوها، وساندت حركة الشعر والغناء وانتشار التعليم هذه المنشآت. كما وظفت الأحزاب السياسية والجمعيات هذه الوسائل للنهضة وتوعية الجمهور

مراجع :

1. تاريخ الجزائر الثقافي ، للمرحوم أبو القاسم سعد الله.
2. ليل الاستعمار، فرحات عباس.
3. الجزائر ، الأمة والمجتمع ، للمرحوم مصطفى الأشرف.
4. المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة : المدارس و الممارسات الطبية و الدين 1830 - 1880 ، تأليف إيفون تيران.

   Yvonne Turin. Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale: Écoles, médecines, religion, 1830–1880.

5. Charles-Robert Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine : 1830-1964.
6. عبد الله شريط، محمد الميلي : تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي.
7. محمد الشريف ساحلي : تخليص التاريخ من الاستعمار.
   النسخة الأصلية (Mohamed Cherif Sahli, Décoloniser l’histoire).